..قصة قصيرة..

وتين

مريم مصطفى "روميتا"

وتين

مريم مصطفى "روميتا"

وتين

تصميم:-

الغلاف الخارجي: مريم مصطفى.

الغلاف الداخلي:- فاطمة السيد "ياقوتة".

تصنيف القصة: إجتماعي، رومانسي، حزين.

© جميع الحقوق محفوظة لدى الكاتبة،
والغلاف الخارجي والداخلي للمصممة،
ويُمنح أخذ أي إقتباس أو إعادة نشره،
في أي صورة كانت إلكترونية،
أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية بدون إذن.

إهـداء

إلى أمي رفيقة دربي الأولى والوحيدة
إلى أبي مأمني وأماني
إلى أخواتي العزيزات رغم كثرة نزاعاتنا
إلى أخي الأصغر وعزيز قلبي
إلى من يصعب تحديد مسمى لعلاقتي معهن إلى
،مريم جمعة، فاطمة السيد، آية ناصر، چنى عماد، سلمى عبد الله ،
نهى يوسف، جنة محمد، ملك ناصر
،روان قباري، علياء عيد، علياء مصطفى، عديلة حسام ،
هنا محمود، مريم عبد الرحمن، زينب الخطيب، منى إبراهيم،
علياء قضب، بسملة القاضي.

المقدمة

كانت تشبه المحيط، عميقة، مصممة، وأحيانًا عاصفة، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهيه الأنفس، تحولها إلى صحراء قاحلة لا روح فيها، أخبرته عن جانبها المظلم آملةً أن يملئ ذاك الجانب بالنجوم، ولكن ما كان منه إلا أنه زاد ظلمته ظلمةً، وها هي على شفا جرف من ، الهاوية، بعدما أضاعت نفسه وتراكم الغبار على روحها، تحتاج من ينتشلها من الضياع، وإذا به يلوح أمامها ينتشلها من المستنقع الذي وقعت به،ينتشلها بعدما أوشكت على الغرق في ظلمات الحياة

(يقال في الوداع مع السلامة فأين السلامة في وداع المحبين)

-اقتباس-

كانت تلك العبارة هي آخر ما خطت أناملها من تحديثات على روايتها الجديدة، التي دونت بها حياتها،وجسدت شخصيتهاومعاناتها في شخصيات أخرى، إذ يقال أن كل كاتب يكتب ما يعبر عنه، وكذلك كانت هي تكتب ما يعبر عنها دون أن يعلم أحد أن المعاناة حقيقية، وأن الألم يجتاح صدرها، وأنها مرت بكل أحداث رواياتها المؤلمة.

أنهت مراجعة روايتها، لترسلها إلى إحدى دور النشر؛ تمهيدًا لنشرها في معرض القاهرة الدولي للكتاب بجانب أخواتها الخمس.

مرت الأيام وأرسلت إليها دار النشر رسالة مفادها قبول نشر روايتها.

ثم توالت الأيام بسرعة، كجواد يركض في ميدان السباق، وها قد جاء اليوم المنتظر، فهي ستذهب إلى معرض القاهرة الدولي للكتاب؛ لتوقيع روايتها السادسة.

توافد عليها القراء بغزارة، كماء منهمر من شلال يتدفق، ومن بين كل تلك الجموع كان هو، ذلك الذي سرق النوم من عينيها ليالٍ طوال، و أذاقها مرارة الخذلان، و جعلها تعيش سنوات عجاف، فقد كان هو من حطم روح الطفلة بداخلها، وها هو الآن يقف أمامها مبتسما بكل تبجح، وممسكًا بيد فتاة في الثانية عشر من عمرها.

عجبًا! يبدو أنها ابنته، هجرها بأقسى طريقة عرفتها، ليكمل حياته وكأن شيء لم يكن، وها هو يقترب منها، وابتسامة الصغيرة تزداد اتساعاً.

_ طنط وتين حضرتك عاملة ايه؟ أنا بيان.

تفوهت تلك الصغيرة بكلمات لم تكن تعلم تأثيرها عليها، أسماها بيان إذن، ذلك الاسم الذي كانت قد اتفقت معه على أن يكون اسم ابنتهما الأولى، وسرعان ما استعادت رباطة جأشها متغاضية عن ذلك الذكر الذي لم يكن مع الفتاة بالفعل، فقد تلقى مكالمة وذهب ليجيب عنها، فوجهت كلامها إلى (بيان) قائلة:

_ الحمد لله في زحام من النعم، عاملة ايه يا بيبو ؟

أنا بخير الحمد لله، تعرفي إني بحب حضرتك جدا، وإني نفسي أكون زيك؟!

_ حبيبتي إن شاء الله هتكوني أحسن مني كمان.

تفوهت بكلماتها تلك وهي تعبث في شعر الصغيرة ذا اللون البني، لتنهي كلماتها وهي ترفع عينيها، لتتقابل مع عينيه، بعد فراق دام لثلاثة عشر عام، تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وهاجمته الذكريات بقوة، فقد كان يتحسر على هجره لها، بعدما توفت زوجته بعد حرب دامت طويلا مع المرض الخبيث، ولكن قبل دقائق من وفاتها صارحته بحقيقته وكم أنه نذل لا يعاشر، كسر بقلبها عندما أهملها كأنها سراب، وكسر قلب الأخرى حين علقها به، رحلت وتركته عاريًا أمام نفسه، تعصف به دوامة أفكاره. ندم؟ نعم، لكنه تأخر، فهل يجدي الندم بعد فوات الأوان نفعًا؟ كلا ورب محمد.

ها هو الآن أمامها، لكن يبدو أنه تأخر كثيرًا، يبدو من عينيها أنها تخطته لترى حياتها، لقد فتش عنها في كل مكان ليعيدها، لكنه كالعادة وصل متأخرا، بعدما فقد هويته ونفسه بعدما تخطته كعقبة تعيق طريقها، لتسير في دربها محققة أحلامها.

وبالفعل كانت قد تخطت ما حدث بالماضي ، ولم يعد يمثل لها شيء، فلم تعد تراه مذهلا كما كانت تراه في الماضي، يبدو أن مرآة الحب عمياء بالفعل فهي الآن تراه أشبه بالقرود بعدما كانت تراه سيد رجال العالم.

ألقت عليه السلام اقتداءً بالنبي، ورحلت كأنما لم تعرفه يوما، كأنه غريب رأته في
طريقها فألقت السلام، راجية الثواب من الله ليس إلا.
انتهى يومها عند هذا الحد، وخرجت من قاعة المعرض متجهة إلى بيتها، ليظهر فجأة أمامها قاطعا عليها الطريق فنظرت إليه بتأفف؛ إنه منبع التبجح حقا، ماذا يريد برب السماء تحدثت بنفاذ صبر لتغلق أمامه كل الأبواب قائلة:

_ ممكن حضرتك تبعد من الطريق؟ عايزة أمشي.

_ وأنا عايز أتكلم معاكِ.

أثار تبجحه الذي لا حدود له عصبيتها فقالت:

_ بأي حق؟ عايز تتكلم معايا بأي حق؟ حضرتك تعرفني؟

أردف والذهول والدهشة يتملكان منه

_ يعني ايه حضرتك تعرفني؟

هل نسيته؟

هل تزوجت من آخر؟

هل أكملت حياتها من دونه؟

كانت تلك الأفكار تعصف في رأس ذلك المزهو المتغطرس، يا الله ما كل ذلك التجبر، لقد ألقاها وراء ظهره كأنها حشرة مخبرا إياها أنها فاشلة، ولن تحقق أحلامها، وأنها لا تناسبه.

_ أيوة مين حضرتك بتكلمني ليه؟ أنت كنت صفحة في حياتي، وأنا مش بس حرقتها، أنا ولعت في الكتاب كله.

نطقت كلماتها تلك بترو، بعد جهاد منها في كبح ثورتها، ثم أكملت قائلة: اتفضل روح لبنتك واهتم بيها، واشغل نفسك بزوجتك، مش بيا

نظر لها بحزن ثم تمتم بخفوت

بس هي توفت من سنتين، وأنا كنت بدور عليك

ضحكت باستهزاء، واغرورقت عيناها بالدموع، قائلة:

يعني مرجعتش عشان ندمان؟ أنت رجعت عشان عايز حد يملى الفراغ اللي هي سابته في حياتك بوفاتها يا (مهاب)، بس لا، مخمنتش صح، أنا مش البنت المغفلة اللي هتسمع كلامك، أنا عقلت، وبجد شكرا إنك عرفتني قد إيه كنت مغفلة، وعلمتني أواجه الحياة بطولي بدون كتف.

التفتت تاركة إياه واقفا يحاول حفظ ما تبقى من ماء وجهه، لتتفاجأ به يمسكها من معصم يدها، انتفخت أوداجها بغضب، لتهبط يكف يدها على صفحة وجهه قائلة في غلظة:

_ إيدك متمسكنيش، مين أنت عشان تمسكني من ايدي؟

رحلت وتركته دون انتظار لرده، تركته في صدمته، متى أصبحت بتلك القوة؟ لازال يتذكر عندما كانت تبكي حين يرفع أحدهم صوته عليها، لقد أضحت الآن شرسة ولم تعد تلك الصغيرة المستضعفة.

بمجرد دخولها إلى المنزل انهمرت دموعها كانهمار المطر الغزير، وحاولت ألا تبكي، لكنها بكت.. بكت من الوحدة ومن ثقل الأيام، فليست لها عائلة تحتويها، فوالدتها أمست تحت التراب، ووالدها مسافر ولا يفكر فيها وهى دوما آخر اهتماماته، إن كانت من اهتمامه بالأصل.

ولا صديق يهون عليها فقد خذلها الجميع، هذا يذكرني بمحمود درويش حينما قال:

لا شيء يعجبني أريد أن أبكى، حاولت ألا أبكى لكنني بكيت بكيت من الوحدة وثقل الأيام، ومن الكتف الذي لم يستطع تحملي.

سرعان ما تداركت نفسها وقوتها هي ليست بضعيفة، ولا تبكي اشتياقا له، هي تبكي على نفسها، تبكي ندما على تلك اللحظة التي وافقت فيها على أن ترتبط به دون رابط شرعي، لم تتجاوز الحدود لم يمسك يدها حتى، ولكنه واعدها سرا، أدركت خطأها متأخرا، وشعرت بأنها كانت حقيرة عندما أغضبت ربها لأجله، فما يبدأ بعدم رضا الله ينتهي بعدم رضا صاحبه.

صدح رنين هاتفها عاليًا وللعجب كان والدها، منذ متى يتذكرها، إنه يهاتفها مرة كل ثلاثة أشهر على الأقل ولم تمر ثلاثة أشهر بعد على آخر مرة هاتفها بها، أجابت على اتصاله ملقية السلام ليرد عليها بمثله، وبعد العبارات الافتتاحية المعتادة تحدث قائلا:

ـ ازيك يا وتين النهارده كان توقيع روايتك في المعرض، إيه اللي حصل؟ يومك كان عامل إزاي؟

أحياها سؤاله عنها، رغم تعجبها من ذلك فهذه مرته الأولى التي يسأل فيها عنها، برغم تعجبها أجابته بتفاصيل اليوم متغاضية عن مقابلتها لمهاب، بنبرة أظهرت مدى سعادتها بسؤاله.

ـ ابن واحد صاحبي متقدملك ها رجع من السفر آخر الأسبوع وهتقابليه، ومش هترفضي كفاية إنك بايرة.

أنهي كلماته التي كانت بمثابة سكين يطعن في قلبها، وأغلق الهاتف دون سماع ردها، هل قلت أنه أحياها؟ الآن قتلها رغم أنها كانت تحرص كل الحرص على تحسين علاقتهما.

حتى الذي تراني أحرص عليه، تارة يحييني، وتارة يقتلني

فاطمة السيد "فاطم"

لم تبك فقد اعتادت الأمر وأخذت تتصفح الهاتف، وفتحت تطبيق الرسائل المسمى واتساب "WhatsApp"، وبالخطأ قامت بفتح الدردشة الخاصة بصديقتها المفضلة، أو لأتحرى الدقة، من كانت في يوم صديقتها المقربة وأكثر من أخت، قرأت آخر رسالة بينهما وكان مضمونها الوداع، وتذكرت كيف خذلتها صديقتها في أسوء أوقاتها.

صنعت لنفسها كوبا من مشروبها المفضل -الشاي بالحليب-، وخرجت إلى شرفة غرفتها، ومعها دفتر مذكراتها، وجلست على تلك الأرجوحة تكتب:

إلى صديقتي التي لم تعد كذلك، إلى أول من أذاقني من الغدر وشجن الدنيا كؤوسا، يعز علي أن أدير عيني أفتش في مكانكِ و لا أراكِ، كنت لك أختًا قبل أن أكون صديقة، وعاونتك على مصائب الحياة، في حين كنت لى ندبة لا يمحوها الزمان، فسلام عليك كما أدميت قلبي فورب محمد يعز عليَّ أن أدعو عليكِ أو أن أقابل إساءتكِ بمثلها، كنتِ وستكونين الذكرى الأبشع في حياتي، والجرح العميق الذي لن يبرأ بمرور الأيام، شكرا لكِ فبعد الخذلان الذي أذقتني إياه جعلت مني فتاة قادرة على مواجهة بشاعة الدنيا، وغدر الزمان.

تلقفت صندوق خشبي بجانب الأرجوحة دون عليه بخط كبير نوعا ما (رسائل لن تصل)

قطعت الورقة التي كتبت فيها الرسالة السابقة، ووضعتها في الصندوق بجانب أخواتها، ثم أخذت تقرأ ما دونه قلمها في تلك الرسائل، وكان ما خرج بيدها أول رسالة كتبتها في أول يوم من فراقها عن مهاب قائلة فيها:

اليوم الأول من الفراق... أتيقن تماما من استحالة وصول الرسالة إليك، لكني على كل حال أخبرك بأنني لست بخير كما زعمت للجميع، أنا هشة من الداخل قسوتي تلك لم تكن إلا ستارا لضعفي، هل أخبرتك حين الوداع أنني لا أهتم؟ حسنا أنا كاذبة، كنت الركن الذي أجد فيه الحنان الذي حرمت منه منذ كنت في العاشرة، الآن أين أجد الحنان؟

بالله ما هذا الهراء؟ هل كانت بذلك الغباء الذي يجعلها تكتب تلك الرسالة؟

أخذت آخر رسالة كتبتها له منذ تسع سنوات وكتب عليها بخطها المنمق المميز: أكتب إليك اليوم لأخبرك بأني قد تخطيتك، أشعر بالسعادة كطير سجين في قفص تحرر بعد سنوات، هذه آخر الرسائل التي سأكتبها لك، أخبرك أني أدركت كم كنت غبية حين أحببتك، ربما تلك الرسالة ليست طويلة كباقي الرسائل، لكنها الوداع، وداع لك، ووداع لمكانك في قلبي".

حسنا هي هنا أكثر تعقلا، أضافت آخر رسالة كتبتها لصديقتها في الصندوق وأعادته إلى مكانه متجهة إلى سريرها لتنعم بالنوم.

مرت الأيام عليها كساعات قليلة، ومر الأسبوع، وها هي الآن تستعد لمقابلة ذلك الرجل المتقدم لخطبتها، وهو الآن في الخارج، يجلس هو وأبيه مع أبيها.

هي الآن تجلس أمامه وحدهما يجلس أبويهما بعيدًا لكنهما يرونهما، انتهت تلك
المقابلة على خير، أدت صلاة الاستخارة، وذهبت للنوم، وها قد أتى وقت الأحلام. ترى نفسها عروس في فستانها الأبيض، تزف إليه وتطل من نظراتها السعادة.
مرت السنوات وهي بجانبه الآن تحتضن ابنتهما ذات الثلاث سنوات، وتتذكر كيف كان
لها عوض جميلا عمن خذلها، فقد كان بمثابة أب وزوج وشقيق، وأصبح كل شيء بالنسبة لها. خلد زوجها إلى النوم وابنتهما إلى جواره، بينما جلست هي في شرفة الغرفة تدون
في دفتر مذكراتها:
سمعت دومًا مقولة إنما بعد الصبر جبر، وأفنيت حياتي بحثا عن عوض جميل يجبر خاطري، ويأتي العوض من الله دوما في وقته، ولكن فطرة الإنسان المتسرعة
جعلتني أتناسى ذلك، بل وجعلتني أسخط على نصيبي في الدنيا، وها أنا ذا أرى عوض الله يلوح أمام عيني بعد سنوات عجاف، بعدما أيقنت أن الله سيجبر خاطري بعوضه

الجميل عاجلا غير أجل، فاللهم عوضا جميلا وجبرا بعد صبر لكل مشتاق.
بتعملي ايه؟ واقفة لوحدك في الجو ده ليه؟ الجو البرد. تفوه بكلماته تلك وهو يحتضنها من الخلف، لتبتسم هي على حركته المعتادة، قائلة:
_ مفيش مكنتش عايزة أنام، أنت صحيت ليه؟
_ محستش بيك جنبي، أنت كويسة؟
_ أنا تمام الحمد الله.
تحبه وتحب قلقه عليها، وتحب جبر الله لها ورزقه لها بعطائه الجميل.

تمت بحمد الله